فنون

"أبوسليم" مدرسة في الفن الشعبي والعفوي
قسيس: صلاح تيزاني أيقونة الكوميديا في لبنان

يحتل صلاح تيزاني "ابوسليم" مكانة في الذاكرة الجماعية اللبنانية. اسس نهجا فنيا فريدا ومميزا قائما على الارتجال، متسلحا بالموهبة وحدها وبالبساطة التي اتسم بها فنه. حقق نجومية وصفت بالظاهرة، وحمل في اعماله وجع الوطن الذي لم ينته بعد، وهو الذي بدأ حياته الفنية في بداية الخمسينات من القرن الماضي

عرف صلاح تيزاني بـ"ابوسليم الطبل" نسبة الى الشخصية الكوميدية التي اداها في مسلسلاته الشهيرة عبر شاشة تلفزيون لبنان من العام 1959 الى حين توقفه في العام 1975 بسبب الحرب اللبنانية، قبل ان يعود مرة جديدة خلال التسعينات محتفظا بشخصيته الكوميدية.
كانت حياة صلاح تيزاني شاقة. ولد عام 1929 في احد احياء القبة في طرابلس والده امين كان ضابطا في الجيش العثماني، وبعد تسريحه عمل في تجارة الخضراوات.
يروي تيزاني في كتابه "ايام من ذاكرتي" ان ميوله الفنية برزت لديه في سن الخامسة، حيث كان يجمع رفاقه الصغار ويدبر لهم المقالب المضحكة. توفي والده حين كان صلاح يبلغ بالكاد السابعة عشرة، فاضطر الى العمل لاعالة امه واخوته. اشتغل في الحياكة لسنتين، انتقل بعدها الى النجارة ليؤسس لاحقا معمله الخاص.
احترف في بداياته فن المونولوج، وكتب الاغاني النقدية ولحنها بنفسه فحصد شهرة كبيرة في طرابلس والجوار، ولقب حينها بـ"شيطان المسرح". رغم نجاحاته، لم يتخل صلاح تيزاني عن هوسه بالمسرح. فشكل مع عماله في فبركة الموبيليا فرقة مسرحية تحت اسم "فرقة كوميديا لبنان". كان نواتها في حينه: عبدالله حمصي (اسعد)، احمد الضابط (كوستي)، زكريا عرداتي (جميل)، غازي شرمند (امين)، لينضم اليها لاحقا كل من محمود مبسوط (فهمان)، صلاح صبح (شكري شكرالله)، سمير شمص وآخرون.
وقد برع تيزاني في ادارة الفرقة وبلورة مواهب اعضائها وصقل تجاربهم وطرق ادائهم، فكان الكاتب والمخرج والممثل ومصمم الملابس والممول ومهندس الديكور والاضاءة والصوت.
يروي النقيب السابق للممثلين في لبنان الدكتور جان قسيس في كتابه "صلاح تيزاني ديللارتيه لبنان"، ان ابوسليم عرف كيف "ينحت" شخصيات فرقته حتى كرسها امام اعين المشاهدين وفي ذاكرتهم. شخصيات نمطية تثير العجب، مستغلا ما فيها من عيوب وشوائب ومن موهبة ايضا، مطورا اياها في سياق منهجي صارم، حتى متى اطل مع فرقته على شاشة التلفزيون، اذهل الجمهور وقض مضاجع القيمين عليه ومعظم العاملين في الفن والمنتجين. توالت نجاحات صلاح تيزاني وفرقته على المسرح وعلى الشاشة الصغيرة، ثم على الشاشة الفضية الكبيرة التي خاض غمارها بثلاثة افلام سينمائية "ابوسليم في المدينة" و"ابوسليم رسول الغرام" و"ابوسليم في افريقيا".
ركز في الشخصيات على الاطباع وانماط السلوك ونقائضها: المحتال، البخيل، الساذج، صاحب الذاكرة الضعيفة، الابله، القبضاي، حلال المشاكل... محملا اياها القضايا والرسائل التي يريد ايصالها الى الجمهور، مستعيرا من الحياة اليومية مفرداتها ومفارقاتها ومشاكلها لتكون موضوعات نصوصه المبسطة.
نجاحات "ابوسليم" وموهبته وظاهرته حدت بالاخوين رحباني الى التعاون معه في مسرحيتي "فخر الدين" و"ناس من ورق"، وفي فيلمين سينمائيين "سفربرلك" و"بنت الحارس"، كما مده الراحل الياس الرحباني بمجموعة من الاغنيات الشعبية الطريفة.
في هذا السياق، اجرت "الامن العام" حوارا مع النقيب السابق للممثلين في لبنان الدكتور جان قسيس، تحدث فيه عن مسيرة صلاح تيزاني وعن ميزات الكوميديا الهادفة التي قدمها من خلال فرقته التي اضحكت الجمهور واذهلته في آن.

صلاح تيزاني "ابوسليم الطبل".



ابوسليم انسان ظريف طيب وكريم النفس واليد

■ اخبرنا عن مسيرة ابوسليم الفنية؟
□ ابوسليم تاريخ قيّم في المجال الفني، بدأ العمل في المسرح وهو لا يزال طفلا ثم في الفرق الكشفية بعدها عمل كمونولوجيست اي في تقديم الحفلات على المسارح وتقديم الاغاني الانتقادية. عمل في الخياطة ومن ثم انتقل الى مهنة النجارة، واسس معملا صغيرا، وعملت معه مجموعة من النجارين تدرب معهم على تقديم اعمال مسرحية في طرابلس وجوارها وعكار. هكذا كانت بداياته الاولى. عند تأسيس تلفزيون لبنان اتاه اتصال منه لتقديم عرض وسئل عن النص، فكان جوابه: "نحن نرتجل ارتجالا من دون وجود نص مكتوب". فطلب منه كتابة نص وهذا ما فعله. فيما اعضاء فرقته الذين كانوا يعملون معه لا يقرأون ولا يكتبون، فكان يلقنهم تلقينا الدور او يحكي لهم فحوى القصة او موضوع الحلقة او المسرحية، ومن ثم يرتجلون كل الحوارات متيحا لهم حرية الحركة والقول كل في اطار كاراكتيره، ودائما في اطار الفكرة الاساسية الموضوعة للعمل. اثار ابو سليم في اثناء عمله في التلفزيون ضجة وثورة، حتى ان الصحافي الكبير الراحل جورج ابراهيم الخوري كتب: نجارون من طرابلس يذهلون الجمهور اللبناني. ترعرع ابو سليم في شوارع طرابلس، عاش مع والده بداية في سوق الخضر، وكان يملك حس الملاحظة والمراقبة، اذ كان يراقب الناس في كلامهم وتصرفهم ◄

المقال

الشاشات والذاكرة المفقودة

اقلق الفنان القدير صلاح تيزاني (ابوسليم)، جمهوره ومحبيه بعد انتشار خبر تعرضه الى وعكة صحية مفاجئة استدعت نقله بصورة عاجلة الى احد المستشفيات في بيروت. منذ ان ادخل المستشفى وحتى خروجه منها سالما، تحركت محبة الناس للسؤال عنه. محبة حصدها بعد ان زرع البسمة في كل بيت لبناني. هو الشخصية الودودة والقريبة من القلب. عاش بين الناس الطيبين البسطاء واستلهم منهم الطيبة والحنكة والمعرفة، ووضعها في قالب هزلي كوميدي احبه الناس وعشقوه، حتى انهم صاروا يقلدونه في الواقع.
هو من ذلك الزمان حيث كان فيه الفنان يتعب ليشق طريقه، وكان على الفنان ان يثبت نفسه بنفسه من دون دعم اي شركة اعلانات، او "بروباغندا" من وسيلة اعلام مرئية. لم يكن هناك فضائيات ولا سوشيل ميديا. حتى محليا، كان هناك المسرح والاذاعة اللبنانية، وبعد سنوات طويلة تم تأسيس تلفزيون لبنان.
الساحة الفنية اليوم ما عادت كما في الماضي، تزخر بفنانين عمالقة تعبوا واجتهدوا كي يحققوا احلامهم. فنانون كبار نسيهم الناس وما عادوا في البال، حتى من قبل الاعلام. يتذكرونهم ويتحدثون عن مسيرتهم عندما يمرضون او يرحلون عنا.
في ذلك الزمان غير البعيد كان قدوتنا ومثلنا الاعلى ابطال دراميون ونماذج ناجحة في مجالها في المسرح والاذاعة وفي مسلسلات تلفزيون لبنان، بعضهم شخصيات حقيقية، وقامات في تاريخنا وحياتنا وثقافتنا، وبعضهم الآخر من نسج خيال المؤلفين. مجرد ذكر تعبير "مسرحية شعبية" او "برنامج تلفزيوني شعبي"، يوحي بأن قصته مأخوذة من الحياة اليومية، وشخصياته مستوحاة من الواقع، وحواراته هي حواراتنا في كل مكان.
فمن ينسى "ابوملحم" صديق البيوت والعائلات اللبنانية مقدما القصص المشوقة في قالب اجتماعي يحاكي واقع تلك الايام، فتحول الى شخصية نمطية لا تزال تستخدم للدلالة على اسلوب الوعظ والمثالية في الحياة. كذلك "ابوسليم" وفرقته التي رسمت البسمة على وجه المشاهدين في اعمال عدة ومديدة. ومن ينسى مختار "الدنيا هيك" الاديب والكاتب والفنان محمد شامل. هذا المسلسل كان ظاهرة قائمة في ذاتها، فصّل شامل عددا من الكاراكتيرات الكوميدية الخفيفة واسندها الى عدد من المحترفين في هذا النوع من الاعمال.
لا يمكن ان ننسى ظاهرةٍ الفنان المسرحي الكبير "شوشو" الموهوب بالفطرة، وهو الذي ترك في رصيد التلفزيون كماً وافرا من الاعمال، وكان مسرحه مدرسة لاكتشاف المواهب وتدريبها، فعلى خشبته تعمّد كبار عمالقة الفن.
اما الياس رزق فكانت له فرقته الفنية التي ينتج اعمالها، وكان رفيق سهراتنا العائلية الحلوة على الشاشة الصغيرة. فقد اسعدنا بتمثيله الخفيف الظريف وطبع بسمة لا تنسى بشخصية "ابوالمراجل" و"عزيز عزو" و"حجل" وشخصيات أخرى.
ومن ينسى احسان صادق "مسبّع الكارات" باتقان، الذي عمل على صقل مواهبه في بداياته مراكما الخبرات خلال مسيرة من العطاء الفني التي تقارب نصف قرن، وقد اغنت اعماله المكتبة الفنية اللبنانية والعربية. وقد تفرد في لبنان بتنظيم اعمال استعراضية منتجة كبرنامج "ورد وشوك" و"مسرح النجوم".
اليوم، يسيطر الاستسهال والاستخفاف بالفن وبرسالته، لذلك نفتقد الفنون على انواعها، التي كانت تقدم للمشاهد المحتوى الممتاز والترفيهي معا. وامام ما تشهده شاشاتنا، يبدو اننا اصبنا بحالة مزمنة من فقدان ذاكرتنا الثقافية والفنية الوطنية، فيما مَن تبقى اليوم من المبدعين اللبنانيين متروكون للقدر الظالم وللعمر في ارذله.

ميرنا الشدياق

▶ واستطاع تكوين نماذج شخصيات فرقته من خلال الناس الذين تعرف عليهم في حياته العامة في سوق طرابلس وعكار، حتى ان اللهجة التي اعتمدها هي اللهجة العكارية وليست الطرابلسية، اذ رأى فيها ابو سليم حسا كوميديا مختلفا وفيها اشارات كوميدية مضافة.

■ تحدثت في الكتاب عن ابوسليم وكوميديا ديللارتيه ما المشترك بينهما؟

□ الكتاب هو دراسة اكاديمية عن الكوميديا ديللارتيه التي تعتبر اهم مدرسة مسرح في العالم، تأسست في منتصف القرن السادس عشر، تحديدا في العام 1545. اتبع ابوسليم هذا النهج من دون ان يعلم عنه شيئا، فقد سمع باسم هذه الكوميديا فقط ولم يشاهدها يوما. حتى ان الراحل جلال خوري قال له: انت ديللارتيه لبنان. سأله ماذا تعني بذلك؟ فشرح له عنها واهداه مسرحية مسجلة. كل اعمال ابوسليم قام بها وفق روحية كوميديا ديللارتيه التي تعتمد على ثلاثة عناصر اساسية: الكانفا هي ملخص المسرحية وكناية عن 3 او 4 صفحات تعلق على حائط كواليس المسرح ويقرأها الممثلون للاطلاع على اجواء المسرحية فيما ترتجل الحوارات ارتجالا. القناع النصفي الذي اعتمد وتحولت معه شخصيات كوميديا ديللارتيه الى شخصيات نمطية stéréotypes لا تتغير الا نادرا. فالممثل يتخصص في شخصية واحدة ولا يؤدي سواها مهما تقدم فيه العمر. لم يستعمل ابوسليم القناع انما تحولت شخصيات فرقته الى شخصيات نمطية، لم تتبدل قط ولم يتبدل ممثلوها. طغى اسم الشخصية على الاسم الحقيقي للممثل، فلم يعد احد يعرف مثلا ان فهمان هو محمود مبسوط، واسعد هو عبدالله حمصي، وشكري هو صلاح صبح وغيرهم، فقد تحولوا الى شخصيات نمطية حتى من دون قناع. من اسس كوميديا ديللارتيه الارتجال، وكان ابوسليم من يكتب النص الذي هو كناية عن فكرة اساسية وبعض الحوارات التي يتلوها على الفرقة ولا يقرأونها لأن معظمهم لا يجيدون القراءة ولا الكتابة، وكانت معظم حواراتهم وحركاتهم وافعالهم مرتجلة في اتقان وبراعة. استطاع ابو سليم ان يتحول الى رمز مسرحي كوميدي وطني لبناني وايقونة للفن الكوميدي في لبنان.

في اربعينات القرن الماضي.

■ ما هو العمل المسرحي الاول الذي قدمه؟

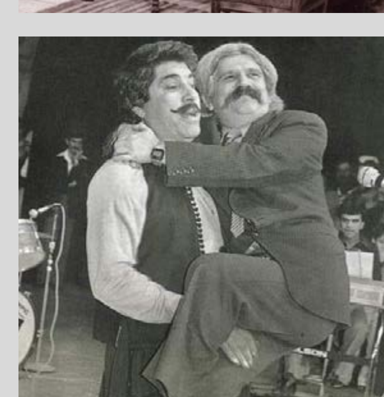
□ كان يقدم مسرحيات ولدى دخوله الى تلفزيون لبنان عرف الشهرة. كما قدم حلقات انتقادية، والاهم ان المواضيع التي كان يتناولها ابوسليم هي مواضيع عادية جدا من يومياتنا، الا انه كان يحيك حولها حلقة كوميدية يخرج منها بخلاصة او عبرة يتوجه بها الى الناس. بالتالي ليس هناك من عمل اول معين، اذ ان ابو سليم اصبح حالة كوميدية متكاملة.

■ ما سبب عدم وجود اعمال مماثلة بعد اعمال ابوسليم؟

□ كتبت يوما مقالا حول الكوميديا وسألت: كوميديات اليوم تضحكنا او تضحك علينا؟ لم يعد هناك كوميديات كأيام زمان، اي كوميديا مدروسة نظيفة راقية. اصبحت كوميديا اليوم تعتمد على الاسفاف والجنس. لا يمكن المقارنة بين كوميديات الامس واليوم. فمن منا لا يتذكر مسلسل اربع مجانين وبس او بربر اغا او الدنيا هيك الذي امتد على 250 حلقة تقريبا.


مع النقيب السابق للممثلين في لبنان الدكتور جان قسيس.





■ ما سبب توقف اعمال ابوسليم؟

□ لم تعد التلفزيونات تريد اعمالا مماثلة، وكأن الناس لم تعد تريده، وهذا خطأ من الاخطاء التي ترتكبها التلفزيونات. هل هو اقصاء مقصود او غير مقصود؟ تبقى النتيجة انهم هم الذين خسروا فنانا كبيرا. وعندما قدم بعض الاعمال في بعض التلفزيونات لم يكن التسويق مناسبا لها.

■ ما سر التناغم بين اعضاء فرقته؟

□ عاشوا الظروف نفسها، وتلقوا تقريبا التنشئة نفسها. في الحياة العامة هم مع ابوسليم، في مهنة الموبيليا هم معه، على المسرح معه وفي التلفزيون معه. يعملون معا ويأكلون ويشربون معا ويسافرون معا ويبيتون معا في منزل واحد هو منزل صلاح تيزاني، لأن معظمهم لم يكن يملك منزلا في بيروت. هذه الحياة المشتركة جعلت منهم جميعا وحدة متماسكة. هكذا تآلفوا وتفاهموا، وبات الواحد منهم يتنبأ بفعل الاخر او رد فعله، بعفوية لا متناهية.

■ ما رأي ابوسليم في كوميديا اليوم؟

□ يحمل ابوسليم تاريخا كبيرا على اكتافه، لذلك عندما كنا معا في النقابة وهو كان امين صندوق فيها، ابدى انزعاجه مرارا من ان المؤسسات التلفزيونية لم تعد مهتمة باعمال جديدة يقدمها. ابوسليم رمز كان يمكن استغلاله في التلفزيونات عندما كان بكامل صحته. كان يزعجه الوضع العام للممثل، اذ انه مهما بنى الفنان تاريخا، يتم نسيانه في لحظة واهماله. لكن ابوسليم لا ينسى، فهو يسكن في وجدان الجمهور اللبناني. حتى ان مَن هم في اعمار لم يعايشوا اعماله العظيمة كانوا يقتربون منه لالتقاط الصور معه عند رؤيته.

■ ما هو وضع الفنان في لبنان وانت واكبت همومهم عندما كنت نقيبا للفنانين؟

□ عندما كنت نقيبا حاولت تحقيق بعض الحقوق، وحين تسلمت رئاسة مجلس ادارة صندوق التعاضد الموحد للفنانين بين اعوام 2016 و2019 عملنا على اقرار مرسوم الجباية من الفنانين الاجانب الذين يقدمون اعمالا في لبنان، وتمكنا من تحصيل بعض هذه الاموال، الا ان الظروف التي فرضتها الازمة الاقتصادية جعلت من هذه الاموال من دون اي قيمة. كان هدف مشروع صندوق التعاضد الموحد للفنانين هو حصول الفنان على معاش تقاعدي، اسوة بنقابتي الاطباء والصيادلة وغيرهما. الدولة لا تساعدنا وهي لا تعترف بنا كمهنة اساسية في البلد، ولم تعطنا القانون المهني الحقيقي. صدر قانون في العام 2008 يحمل الرقم 56 /2008 الا انه لم يشرع لنا كنقابة مهنية متكاملة. الفنان الراقي والانسان المثقف هو الذي يمثل بلده خير تمثيل.

■ كيف تصف ابوسليم؟

□ ابوسليم هو ايقونة الفن الكوميدي اللبناني، يعتبر اليوم شيخ الفنانين اللبنانيين وهو اكبرهم سنا. انسان ظريف طيب، كريم النفس وكريم اليد. ابوسليم علامة فارقة في الفن اللبناني. ظاهرة فنية وليس مجرد ممثل.

م. ش